الشهادة للحق

(لا تشهد بالزور على قريبك» (الخروج 20:16»

غالبًا ما يُعتقد أن هذه الوصية تحرّم الكذب فحسب، لكن معناها أعمق بكثير، إذ يمتد ليشمل حياة الإنسان بأكملها

قول الحق ليس مجرد مسألة كلمات، بل هو التزام بنمط حياة. فكل شخص يعبر عن ذاته باستمرار، ليس فقط بما يقوله، بل أيضًا بما يفعله، وحتى بما يختار الامتناع عن قوله أو فعله

لفهم مدى أهمية الشهادة للحق، من الضروري التعمّق في مفهوم "الحقيقة" في الكتاب المقدس، وكيف يختلف هذا المفهوم عن التصورات الشائعة التي لدينا. يعتقد الكثيرون أن قول الحقيقة يعني مجرد نقل الوقائع بدقة، لكن الكتاب المقدس يكشف أن الحقيقة ليست مجرد صحة معلومات. فقد يكون الشخص دقيقًا جدًا في نقل الأحداث، ومع ذلك يعيش في كذب إذا استُخدمت هذه الدقة للتلاعب أو الإيذاء أو إخفاء الظلم. مثال شائع على ذلك هو عندما يركز شخص على أخطاء غيره فقط لإهانته، رغم أنه يقول أشياء صحيحة. في المنظور المسيحي، لا يمكن فصل الحقيقة عن المحبة والعدل

خطأ شائع آخر هو الاعتقاد بأن الحقيقة تعني الصراحة المطلقة. يظن البعض أن قول ما يفكرون فيه هو نفسه قول الحقيقة، لكن يمكن للإنسان أن يكون صادقًا تمامًا ومع ذلك يكون مخطئًا تمامًا. فقد تضلله مشاعره أو قناعاته الشخصية، فينطق بأشياء غير صحيحة، رغم أنه مقتنع بها بصدق. يعلمنا الكتاب المقدس أن الحقيقة ليست مجرد تعبير عن الرأي أو المشاعر، بل هي التزام بالولاء لله ومشيئته

أعظم نموذج للشهادة للحق نجده في شخص يسوع المسيح، فهو لا يكتفي بالحديث عن الحقيقة، بل هو الحقيقة ذاتها. في إنجيل يوحنا، يعلن يسوع: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو 14:6). هذا يعني أن الحقيقة ليست مجرد فكرة مجردة أو مجموعة من المعلومات الصحيحة، بل هي واقع حي متجسد في شخصه. يسوع لم يكن مجرد ناقل لرسالة، بل جسّد بنفسه ما يعنيه أن يكون الإنسان أمينًا للحق

إحدى اللحظات الأكثر دلالة على الشهادة للحق تحدث في محاكمة يسوع أمام بيلاطس. يسأله بيلاطس: هل أنت ملك؟ فيجيب يسوع: «لهذا قد وُلِدتُ، ولهذا قد أتيت إلى العالم، لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتي» (يو 18:37). لكن بيلاطس، بدلًا من التأمل في هذه الكلمات، يطرح سؤالًا ساخرًا: «ما هو الحق؟» (يو 18:38)، ثم يخرج دون انتظار الجواب، مما يعكس اضطرابه الداخلي. يمثل بيلاطس الإنسان الذي يقف أمام الحقيقة لكنه يفتقر إلى الشجاعة لاحتضانها. لقد أدرك براءة يسوع، لكنه خضع لضغوط الجموع خوفًا على سلطته، فحكم عليه بالموت صلبًا

يظهر لنا موقف بيلاطس أن الحقيقة قد تهدد المصالح الشخصية، وأن كثيرين يفضلون إنكارها بدلًا من مواجهة تبعاتها. وهذا ما يحدث أيضًا في حياتنا اليومية: هناك مواقف ندرك فيها ما هو صواب، لكننا نتجنب فعله خشية ردود فعل الآخرين أو العواقب المترتبة عليه. الشهادة للحق ليست سهلة دائمًا، وقد تتطلب تضحيات. يسوع، من خلال حياته وموته، أظهر لنا أن الوفاء للحق قد يكون مكلفًا، لكنه الطريق الوحيد للحرية الحقيقية

في الواقع، الحقيقة ليست مجرد كلمات. فكل إنسان يشهد بشيء ما في حياته، ليس فقط من خلال ما يقوله، بل من خلال أفعاله أيضًا. الطريقة التي نتصرف بها، وأعمالنا اليومية، وطريقة تعاملنا مع الآخرين، كلها تنقل رسالة عن هويتنا. حتى الصمت قد يكون شهادة. هناك صمت أبلغ من الكلام، كما عندما يمتنع الإنسان عن الرد تجنبًا لإيذاء الآخر. لكن هناك أيضًا صمت يعكس اللامبالاة أو الخوف، كما حين يتجنب أحدهم الدفاع عن مظلوم خوفًا من العواقب

يُظهر لنا الكتاب المقدس أن الإنسان في تواصل مستمر، ليس فقط بالكلام، بل بالأفعال، والسلوك، واختيارات الحياة. حتى الابتسامة قد تكون شهادة على المحبة والحق، تمامًا كما قد تكون نظرة الاحتقار رسالة كذب وتشويه. الشهادة المسيحية لا تقتصر على الكلمات، بل هي أسلوب حياة يعكس إيماننا للآخرين

في حياتنا اليومية، هناك طرق عديدة نكون فيها شهودًا للحق. أن نكون شهودًا للحق يعني أن نكون أشخاصًا متسقين مع مبادئنا، لا نستخدم الكذب لتحقيق مكاسب شخصية أو للتلاعب بالآخرين. كما يعني أيضًا تجنب النفاق، أي عدم قول شيء ثم التصرف بعكسه. لقد انتقد يسوع بشدة الفريسيين لأنهم كانوا يعلّمون شريعة الله، لكن قلوبهم كانت مملوءة بالكبرياء والظلم. فالشهادة الحقيقية للحق لا تعني فقط "التحدث عن الله"، بل العيش وفق مشيئته

جانب آخر مهم هو أن الحقيقة لا ينبغي استخدامها كسلاح لإيذاء الآخرين. هناك أشخاص يقولون أمورًا صحيحة لكن بدافع تحقير الآخرين أو تدميرهم نفسيًا. هذا ليس شهادة للحق، بل استغلال له لأغراض أنانية. يعلمنا يسوع أن الحقيقة يجب أن تُقال دائمًا بمحبة

وأخيرًا، يدعونا النص إلى التأمل في الطريقة التي نشهد بها للحق في حياتنا اليومية. فالأمر لا يتعلق فقط بتجنب الكذب، بل بالتساؤل: ما هي الرسالة التي تنقلها حياتنا؟ الحقيقة ليست مجرد ما نقوله، بل هي من نكون. إن أردنا أن نكون شهودًا حقيقيين للمسيح، علينا أن نكون أشخاصًا أصيلين، متسقين مع أنفسنا، نعيش بالمحبة والعدل

الشهادة للحق تعني اتخاذ خيار يومي بعدم التنازل أمام الكذب، وعدم الاستسلام للخوف أو النفاق، وأن نكون أشخاصًا ينشرون النور في العالم. هذا ما فعله يسوع، وهذا ما نحن مدعوون إليه أيضًا: أن نكون شهودًا للحق، ليس فقط بالكلام، بل بحياتنا كلها.